هل عُرج برسول الله إلى السماوات بالجسد أم بالروح؟ وهل تعرُج الأجسام إلى السماوات؟

صلى الله عليه وسلمرضى الله عنه

المعراج معجزةٌ إلهية، والمعجزات تكون إ للأنبياء، والإسراء والمعراج معجزة خاصَّة لإمام الرسل والأنبياء سيدنا محمَّد ﷺ.

فلا يوجد أحدٌ من الأنبياء والمرسلين السابقين عُرج به جسداً وروحاً للملكوت الأعلى لأنها خ وصية لرسول الله ﷺ.

فهل كان بالروح أم بالجسد؟ فهذا سؤال فلسفي وقف عنده المتشككون من القديم ويستمسك به المستشرقون والمعاندون في الحديث.

فلو كان الإسراء والمعراج بالروح لم تكن هناك مشكلة، فبالروح يعني مناماً، ولو أن أحداً رأى نفسه في المنام أنه ذهب إلى الجنة، فهل في هذا الأمر شيء؟ وهل هناك من يكَّذِّبه؟ ، لأن هذا أمر المنام، وأمر المنام واسع، ولكن هذا الأمر كان بالجسد والروح خ وصية لرسول الله ﷺ.

والدليل على ذلك بالنسبة للإسراء: فإن أهل مكة عندما أخبرهم النبى بالإسراء قالوا: إنَّا لنقطع شهراً للذهاب إلى بيت المقدس، وشهراً في الإياب، وأنت تدَّعِي أنك ذهبت ورجعت في جزءٍ من الليل، فهذا يكون.

فسيدنا أبو بكر رضى الله عنه كان حاضراً، وأراد أن يُثبت لهم صحَّة ذلك فسألهم، هل تعلمون أن محمَّداً ﷺ ذهب إلى بيت المقدس؟ فقالوا: ما علمنا أنه ذهب إلى هناك، فقال:

"أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ صَادِقٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ في نفسه : دَخَلْتُهُ لَيْلًا، وَخَرَجْتُ مِنْهُ لَيْلًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَرفعه على جَنَاحِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: بَابٌ مِنْهُ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا، وَبَابٌ مِنْهُ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا، وَأَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه عِنْدَهُ يَقُولُ: صَدَقْتَ صَدَقْتَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرَنَا؟ فَقَالَ: أَتَيْتُ عَلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ بِالرَّوْحَاءِ قَدْ أَضَلُّوا نَاقَةً لَهُمْ، وَانْطَلَقُوا فِي طَلَبِهَا، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رِحَالِهِمْ لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَإِذَا قَدَحُ مَاءٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، فَسَلُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالُوا: هَذَا وَالإِلَهِ آيةٌ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ، فَنَفَرَتْ مِنِّي الإِبِلِ، وَبَرَكَ مِنْهَا جَمَلٌ أَحْمَرٌ عَلَيْهِ جُوَالِقٌ مُخَطَّطٌ بِبَيَاضٍ لا أَدْرِي أَكُسِرَ الْبَعِيرُ أَمْ لَا؟ فَسَلُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ. قَالُوا: هَذَا وَالإِلَهِ آيَةٌ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ فِي التَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ هَا هِيَ ذِي تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: سَاحِرٌ! فَانْطَلَقُوا، فَنَظَرُوا، فَوَجَدُوا الأَمْرَ كَمَا قَالَ ﷺ فَرَمُوهُ بِالسِّحْرِ"[1]

أما بالنسبة للمعراج: فقد كان سيدنا جبريل ينزل من السماء إلى الأرض في أقلِّ من لمح البصر، وكان يستأذن، ولكن في هذه المرة كلما ذهب إلى باب سماء يدُقُّ الباب، ويقولون: من؟ فيقول: جبريل، فيقولون: ومن

[1] ابن حجر في المطالب، وجامع البيان للطبري عن فاختة بنت أبي طالب

معك؟ فيقول: محمد ﷺ، فيقولون: أوقد أُرسل إليه؟ فيقول: نعم، فيفتحون الباب.

فالإذن يكون للروح، ولكن يكون للجسم، يعني كما قلت الآن: لو أن أحداً نائماً وصعدت روحه إلى السماوات السبع وسافرت وساحت ودخلت الجنة، فهل هناك ما يمنعها؟ ، لكن من الذي يُمنع من ذلك؟ الجسم، فكان يستأذن لحضرته ﷺ عند كل سماء ليدخل، لأن سيدنا رسول الله كان بجسمه.

الأمر الآخر والأعظم أن أعظم فريضة أنزلها الله عز وجل علينا جماعة المؤمنين هي فريضة الـ ـلاة، والله عز وجل لأهمية هذه الفريضة عنده، لم ينزلها بالوحي عليه، ولكنه استدعاه عنده، مع أن الله حيث له و كينونة له و محلَّ له، لكن إلى حيث حيث، وإلى مقامٍ قال فيه الله:

{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) } (النجم)

ففرض عليه الـ ـلاة، والـ ـلاة تُفرض في المنام ولكن تُفرض في اليقظة لأنها أهم فريضة في الإسلام.

والدليل القاطع في القرآن، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} (١الإسراء)، ولم يقُل بروح عبده، وكلمة العبد تُطلق إ على الجسم الذي فيه روح، فالروح وحدها نقول عنها: روح فلان، وأقول: إن روح فلان قد جاءتني هذه الليلة، أما الجسم بدون روح نقول عنه: جُثَّة، لكن العبد يكون جسماً وروحاً معاً، لذا قال الله: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} (١الإسراء)،

لفظ عبد يقتضى الجسـم الذي فيه عقل فيه روح والخيال

وهذا يقتضي أنه أسرى بجسم رسول الله وهي خصوصية له ﷺ. كيف يسير بهذه السرعة الزائدة؟ وكيف يخترق السماوات الطباق؟ وكيف يتحمَّل الجسم هذه الذبذبات وهذه التيارات؟

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} (١الإسراء)، فمن الذي أسرى؟ الله، وهل تُعجز قدرة الله شيء؟! إذا كان الله هو الذي أسرى به فقد كيَّفهُ وصانه ليتحمَّل كل هذه الأجواء وكل هذه الطباق، لأنه عز وجل هو الذي دعاه، وهو الذي حماه، وهو الذي تكفَّل به صلوات ربى وتسليماته عليه.